فنون المشرق الإسلامي

د منى عثمان الغباشي

الفرقة الرابعة قسم الآثار شعبة الآثار الإسلامية

محاضرة التحف الخشبية المغولية الهندية

التُحف الخشبية المغولية الهندية:

أنتجت الهند العديد من قطع الأثاث الإسلامي في عصر أباطرة المغول التي كان أشهرها الصناديق الخشبية الخاصة بالملابس والأمتعة هذا فضلًا عن الشكمجيات. ومن ثم وصل العديد من التحف الخشبية والتي تُزخرف بزخرفة اللاكية أو المُطعمة بالعاج أو الأبنوس أو السن. ومن أمثلتها:

– صندوق خشبي مُزخرفة باللاكية بمتحف الفنون الزُخرفية في مدينة سانت لويس بجزيرة رينيون الفرنسية: وهو صندوق صغير مُزخرف بزخارف نباتية مُتعددة الألوان، وهو يظهر الطابع الهندي المحلي بصورة جلية وإن كان يظهر بعض التأثر بتحف اللاكيه التي شاع إنتاجها في إيران خلال عصر القاجاريين في نفس تلك الفترة من القرن ١٢هـ/١٨م. وتُشرف واجهاته بزخارف معمارية ونباتية من مزهريات تخرج منها الأفرع النباتية والورود وباقات من الأفرع والأزهار.

– صندوق رائع من الخشب المطعم بالعاج واللاكية بمتحف الفنون الزُخرفية في مدينة سانت لويس بجزيرة رينيون الفرنسية.

الشكمجيات : هي تلك الصناديق المُخصصة لحفظ حُلي المرآة وجواهرها، لما لها من قيمة مادية غالية وقيمة فنية عالية، وذلك حفاظًا عليها من السرقة أو الضياع لذا استُعملت علب خاصة وصناديق مُحكمة لهذا الغرض.

وقد عُرفت هذه الصناديق في مصر منذ أقدم العصور التاريخية؛ حيث يحتفظ المتحف المصري بصندوقين من الخشب غُطى كل منهما بغلالة من الذهب لحفظ الأشياء الثمينة وهما للملكة حتب حرس أم الملك خوفو وللملك توت عنخ أمون.

كما وجدت في العصر الإسلامي ترجع لأوقات تاريخية مُختلفة منها ما يرجع إلى العصر الفاطمي أشار إليها المقريزي، وكانت من ضمن شوار العروس واستمرت في العصر المملوكي ثم العُثماني. وكانت تُصنع من الخشب المُطعم بالصدف أو العاج أو سن الفيل، وبعضها كان من العاج الخالص أو الذهب الخالص.

طريقة صناعة الشكمجية : تمر صناعتها بعدة مراحل:

المرحلة الأولى : وهي طريقة الكبس: ويتم فيها تقطيع ألواح الخشب حسب المقاس المُراد تنفيذه ثم يُشذب الأجزاء البارزة من الألواح باستخدام الفارة وهي آلة حديدية حتى يصبح السطح أملس، وبعدها يضع بين هذه الألواح بمادة الغراء ثم توضع الألواح على مكبس خاص بالأخشاب فتلتصق مع بعضها.

المرحلة الثانية: مرحلة مسامير البرشام :تُستعمل عند تثبيت غطاء الشكمجية في البدن وذلك بواسطة مُفصلات، التي توضع في المكان المُناسب لها بين البدن والغطاء، ثم يضع مجموعة من مسامير البرشام، توزع على جسم المفصلة، ثم يقوم برشمتها باستخدام آلة حادة تُشبه الكماشة يضغط بها على المسمار من الجهتين ومن هنا تحدث عملية التحكم التام.

المرحلة الثالثة: مرحلة الحفر والتطعيم : وفيها يتم حفر الزخارف المُراد تنفيذها بعدة مستويات ثم يقوم بتطعيمها بالعاج والأبنوس والسن.

التكوين العام للشكمجية: هي عبارة عن صندوق مُستطيل ذي غطاء مُستطيل، وتحتوي من الداخل على عدة أدراج صغيرة مُسطيلة الشكل أُفقيًا ينتصفها درج رئيسي كبير مُستطيل الشكل رأسيًا. وتنفرد بعض الشكمجيات الهندية المغولية بزيادة عدد أدراجها والتي وصل إلى أربعة وعشرين دُرجًا والتي يُحفظ فيها الحُلي الذهبية والأحجار الكريمة والأشياء الثمينة، كما تميزت بعضها كذلك باحتوائها على رف أعلى الأدراج وعلى بابين بدلًا من باب واحد.

قوام الزخارف: تتميز مُعظم الشكمجيات بأن زخارفها تعتمد على الزخارف النباتية وتُزخرف بالزخارف النباتية ذات الأشكال الطبيعية وزخارف الأرابيسك بحيث تُزخرف الواجهات الخارجية

الأربعة بباقات الورد والأفرع النباتية التي تخرج أحيانًا من مزهرية وتُحاط من الخارج بإطار مُستطيل من فرع نباتي مُتموج يخرج منه وريقات نباتية ووريدات. وانفردت الشكمجيات الهندية الإسلامية المغولية بوجود رسوم طيور وحيوانات على جانبي فرع نباتي.

النماذج:

- شكمجية من الخشب المُطعم من العصر المغولي الهندي بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة :

وهي عبارة عن صندوق مُستطيل ذو غطائين؛ غطاء عُلوي مُستطيل بجوانب مُقوسة وغطاء بالواجهة الأمامية ذو بابين مُستطيليين يغلقا على الواجهة، وله مقبضين معدنيين بالواجهتين الجانبيتين. ويحتوي الصندوق على تسعة أدراج في ثلاثة صفوف رأسية، يعلوها منطقة مُستطيلة أو رف ليُغطى بالغطاء العُلوي. وتُزخرف الواجهات الخارجية للصندوق بباقة الورد المُحاطة بالفرع النباتي، ويتميز الغطاء العلوي بزخرفة جوانبه المُنحدرة بأشكال هندسية من مُعينات يتوسطها وريدات وبأسفلها وريدات نباتية.أما البابان الصغيران فيُزخرفا من الداخل بإطارين يُحيطا بساحة مُستطيلة غُفل من الزخارف، ويُزخرف الإطار الداخلي بوريدات والخارجي بمُعينات. وتُشرف كل من الأدراج بواجهة ذا ت مُعينات مُفرغة كثقوب ومُحددة بإطار من الوريدات الصغيرة أو الدوائر، ويعلوها إطار مُستطيل ذي وحدة نباتية مُكررة من ورقتين يعلوهما وريدة وتحصر بينها شكل مُعين.

وتعكس زخارفه تشابهها مع زخارف نظيرتها العُثمانية المحفوظة بمُتحف الفن الإسلامي ومُتحف جاير أندرسون بالقاهرة والتي ترجع إلى القرن ١١هـ/١٧م مما يُرجح إرجاعها إلى القرن ١١هـ/١٧م، ويدل على وجود وحدة زُخرفية تسود العالم الإسلامي في ذلك الوقت. هذا مع ظهور الواقعية والطابع الهندي في تمثيل الزخارف، مع إنفراد هذا الصندوق بوجود بغطائين علوي وجانبي ووجود رف علوي أعلى الأدراج.

٢- شكمجية من خشب الساج الهندي المُطعم بالعظم من العصر المغولي الهندي يؤرخ بفترة القرن ١١هـ/١٧م أو القرن ١٢هـ/١٨م.

- شكمجية من خشب المُطعم من العصر المغولي الهندي: وهي صندوق مُستطيل يحتوي على سبعة أدراج أكبرها أوسطها. وتُزخرف واجهاتها وواجهة باب الصندوق الداخلية والأدراج برسم شجرة مُتفرعة يحط عليها الطيور، ورُسم على جانبيها أسدين مُتقابلين وفُرسان مُتقابلين وطيور؛ بحيث توجد الأسود بالواجهات الجانبية والفرسان على السقف والباب والطيور على الأدراج، وأنفرد الدُرج الأكبر بزخرفته برسم لطاووس على جانبيه رسم فرع نباتي يخرج من مزهرية. وتتميز هذه الزخارف برقتها ودقة تمثيلها مع خلوها من طابع الخشونة في تمثيل الرسوم الحيوانية والآدمية لتتسم بالليونة التي تُميز الزخارف الإسلامية منذ العصر السلجوقي ثم العصر المغولي الهندي.

٤- شكمجية من خشب الورد المُطعم من العصر المغولي الهندي من غرب الهند مؤرخ بسنة ١٦٧٠م: وهي عبارة عن صندوق مُستطيل يحتوي على ٢٤ دُرجًا في خمسة صفوف رأسية؛ بحيث يوجد خمسة أدراج أربعة صفوف يتوسطهم صف بأربعة أدراج أكبرها أوسطها. وتُزخرف الشكمجية بباقات الورد في صفوف تعكس الطابع الهندي الإسلامي المُميز الذي ساد زخارف العصر المغولي الهندي.

فن صناعة وزخرفة العاج

عرف الإيرانيون استعمال الإيرانيون استعمال العاج منذ العصور القديمة فاستوردوه لزخرفة قصر الكيانيين بمدينة السوس، وجاء رسمه بين ما يقدمه حاملو الجزية في نقوش برسوبوليس. وثمة تُحف نادرة يمكن نسبتها إلى إيران في العصر الإسلامي نظرًا لما عليها من رسوم وزخارف شديدة الشبه بالرسوم والزخارف الموجودة على خزف مدينة الري في القرن٧هـ/١٣م.

ويُنسب إلى العصر الصفوي حشوات كاملة من العاج تحتوي على زخارف نباتية قريبة جداً من الطبيعه ومحفورة حفراً عميقاً وتشبه في تكوينها الزُخرفي زخارف الأخشاب والنسيج في العصر الصفوي.

التحف العاجية الهندية:

لا شك في أن صناعة التُحف العاجية في الهند كانت مُزدهرة منذ عصور طويلة، وذلك لتوفر العاج في الهند نظرًا لشهرة منطقة المحيط الهندي بإنتاج العاج سواء من السواحل الأفريقية أو الآسيوية. وتميزت هذه التُحف في العصر المغولي بتأثرها بالأساليب الفنية الهندية السابقة للإسلام التي ظلت مُستخدمة في هذه الصناعة اللهم إلا في بعض التُحف التي كانت ذات زخارف نباتية أو هندسية إسلامية. كما عرفت الهند ترصيع الخشب فسيفساء العاج والعظم.

وتُعد التُحف العاجية من أجمل الفنون الزُخرفية التي وصلتنا من الهند في العصر المغولي الهندي، وقد تعددت أشكالها من العلب والتماثيل وقطع الشطرنج. وتتمثل نماذجها في:

– علبة عاجية مُستديرة من العصر المغولي الهندي بمتحف الفنون الزُخرفية في مدينة سانت لويس بجزيرة رينيون الفرنسية ربما ترجع إلى نهاية القرن ٦هـ/١٢م : وتزُين بزخارف محفورة حفرا عميقا، وتجمع ببراعة بين عناصر الزخرفة النباتية الإسلامية المعروفة بالأرابيسك وبين الرسوم الهندية التقليدية التي تضم رسومًا لأشخاص وسيدات بنفس الأسلوب الذي نشاهده في المعابد الهندوكية القديمة.

تماثيل الأفيال: وصلنا مجموعة من التماثيل على هيئة الفيل يحمل الهودج، وذلك لاهتمام الهنود بالأفيال منذ القدم؛ حيث يحتفظ العديد من المعابد في جنوب الهند بالأفيال كحيوانات أليفة ، وغالبًا ما تكون هذه جزءًا من المواكب الاحتفالية. كما استخدم طريقة النقل. وتعكس هذه المجموعة من التماثيل مدى براعة الفنان الهندي في صناعتها وحفر زخارفها الدقيقة التي تعكس الواقع الهندي. ومن أمثلتها:

– فيل من العاج من لعبة الشطرنج من مجموعة كانت محفوظة في كنوز كنيسة سان دني وهي الآن في المكتبة الأهلية بباريس.يُعد منالتُحف المشهورة التي تُنسب إلى الهند، ويزعم البعض أن شارلمان تلقاها هدية من هارون الرشيد. وتُمثل ملكًا على ظهر فيل يحف به فارسان ويوجد على الفيل بهلوانًا، رأسه إلى الأسفل ويداه مُمسكتان بنابي الفيل. وزُين مُحيط مقعد الملك بنقوش بارزة تُمثل محاربين من المشاة، وعلى القاعدة توقيع الصانع نصها: " من عمل يوسف الباهلي". والواقع أنه لا يمكن نسبة هذه التُحفة إلى عصر هارون الرشيد في أسلوبها الفني. كما أن البعض ينسبها إلى الأندلس.

– فيل من العاج بلعبة الشطرنج من العصر المغولي الهندي : ويرتكز الفيل على قاعدة ُستديرة ويحمل هودجًا بداخله يجلس الملك وخلفه حارسه ُربما يحمل في يده اليُمنى مظلة يُظلل بها الملك، ويتقدم الهودج قائد الفيل، ويرتكز الهودج على كورنيش يرتكز بدوره على سرج الفيل المُزخرف برسوم نباتية وهندسية يُعلق به سُلم خُصص لنزول راكبي الهودج. ويعكس مدى الواقعية والدقة في تنفيذ الزخارف التي تدل على البيئة الهندية.

– تمثال لفيل يحمل هودجًا من العاج من العصر المغولي الهندي: ويرتكز الفيل على قاعدة بيضاوية ويحمل الهودج بداخله الملك يجلس على مقعد.

عزيزي الطالب يجب عليك الآتي:

١–شرح النماذج بالتفصيل مع مقارنتها بغيرها في باقي العالم الإسلامي

٢– إلقاء الضوء على الطرز الفنية والمعمارية من خلال التحف

٣–إلقاء الضوء على الأوضاع الاجتماعية و الاقتصادية والسياسية من خلال هذه التحف

٤–البحث في كتابك ومواقع الانترنت عن مزيد من التحف